ثقافة نقباء الأشراف
في القرنين السابع والثامن الهجريين
(القسم الثالث)

أ.م. دكتور قاسم حسن آل شامان السامرائي
جامعة تكريت ـ كلية التربية / سامراء ـ قسم التاريخ

شهدت نهاية القرن السادس الهجري زوال السيطرة السلجوقية على مقدرات الخلافة العباسية وعودة السلطة الفعلية إلى خلفاء بني العباس ، الذين راحوا يواجهون خطراً جديداً هو الغزو المغولي ، ذلك الخطر الذي أطبق على المشرق الإسلامي منذ أواخر القرن السادس وبدايات القرن السابع ليطبق على درة الكيان العربي الإسلامي ((بغداد)) منتصف سابع القرون الهجرية .

أما القرن الثامن الهجري فقد كان قرناً مستمداً روحه من منتصف القرن السابع الهجري الذي به حلّت (فاجعة بغداد) يوم استباحتها سنابك خيل الغزاة المغول إذ انتهت فيه نقابة العباسيين على أثر ما تعرض له العباسيون من قتل وتصفية وتشريد وتنكيل واظطهاد ، فاختفت هذه النقابة حتى أوائل القرن الثامن الذي شهد عودة هذه النقابة ، فكان ابن المحيّا نقيباً على من تخلف بالعراق من العباسيين في الوقت الذي استمرت فيه نقابة الطالبيين برعاية حياة الأشراف ومنها العلمية .

على وفق هذه الأجواء كانت مؤسسة نقابة الأشراف تقود الحياة العامة لآل بيت النبي ﷺ بفرعيهما الطالبيين والعباسيين ، فتوجه حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعلمية وحتى السياسية ، والذي يعنينا في هذا القسم هو الرعاية العلمية لحياة الأشراف آل بيت النبي ﷺ والتي يمكن للقارئ أن يستشفها من خلال ما يتمتع به نقباء الأشراف من مكانة علمية وبراعة في علوم مختلفة انعكست بالتأكيد على الحياة العلمية للمجتمع الذي يتولون قيادته .

فكيف كانت مكانة هؤلاء النقباء العلمية ؟ وما هي ذخيرتهم وزادهم في ذينك القرنين؟ ذلك ما سيجده القارئ في هذا القسم من بحثنا الذي هو الثالث[١] في هذا المجال .

شهد القرن السابع الهجري بروز نقباء كان لهم إسهامهم الواضح في الحركة الفكرية ، يقف في مقدمتهم نقيب الطالبيين في الموصل أبو القاسم المرتضى بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الموصلي الذي كان أديباً فاضلاً ختم حياته أوائل هذا القرن ، إذ توفي في العام ٦٠١هـ ، له شعر ، منه ما يمدح فيه وزير الموصل جلال الدين أبا جعفر محمد بن علي الأصفهاني إذ يقول[٢] :

جلال الدين مولانا الوزيـــــر مناقبـــــه محبـــرة تســـير

ومن كفّاه تحيي كـــل ميت وتحميه إذا عــز النصيــر
ومن يعطي الكثير بلا سؤال ويتبعه البشاشة والســرور
ومن أغنت مواهبه البــرايا وأوسعهم فليس يــرى فقير

وفي سنة ٦٠٧ هــ توفى قُثم بن طلحة الزينبي نقيب النقباء العباسيين الذي يُوصــف بأن فيه فضيلةً وكتابةً ، ومعرفة بالتواريخ والأنساب وأيام الناس ، وله في ذلك مجموعات وله ترسُّلٌ حَسَن[٣] ، فقد كان فيه ((فضل وتميّز ومعرفة بالعلم ، وحرص عليه جداً خصوصاً ما يتعلق بالأنساب والأخبار والأشعار وجمع في ذلك جموعاً بأيدي الناس وكتب الكثير بخطــه المليح ، إلا أن خطه لا يخلو من السقط مع ذلك))[٤] ، ووصفه الذهبي بأنه كان صدراً معظماً عالماً بالنسب والتواريخ[٥] ، سمع الحديث من جماعة[٦] ، وحدّث حديثاً[٧]، وقد أشــار ابــن الفوطي إلى من ترجم لهم الزينبي في تاريخه[٨] ، إذ يبدو انه استفاد منه .

وكان نقيب الطالبيين بواسط أبو الفضائل علي بن يوسف بن احمد الأمدي ، الواسطي (ت ٦٠٨ هــ) قد قدِم بغداد وتفقّه على جماعة من فقهائها ودرس بالمدرسة الثقتيــة ببــاب الأزج أحد أبواب بغداد ، وسمع الحديث من جماعة كثيرة ، وُصِف بأنه حسن الكلام بالمناظرة ومن بيت معروف بالرواية والصلاح ، له شعرٌ منه قوله[٩] :

واهاً له ذكر الحمى فتأوّها ودعا به داعي الصِّبا فتولّها

أما نقيب أشراف مصر محمد بن محمد بن أبي البركات اسعد الجواني (ت ٦١٠هــ) فقد كان نسابة والّف كتاب أزواج النبيﷺ[١٠] ، فيما كان نقيب النقباء الطالبيين ببغداد محمد بن أبي جعفر محمد بن عدنان بن المختار الكوفي (ت٦١٢هــ) سمع ببغداد وبها حدّث ، وكــان صهراً لنقيب النقباء العباسيين المحدث علي بن طِراد الزينبي[١١] ، وفي سنة ٦١٣ هــ توفى نقيب الطالبيين بالبصرة أبو جعفر النقيب يحيى بن محمد بن محمد الحسني العلوي ، وقد قرأ هذا الرجل علم الأدب ، وسمع الحديث من أبيه وغيره[١٢] وكان أعرف أهل زمانه بأنــساب العرب وأيامها وأشعارها ، مليح المجالسة ، حسن الأخلاق متواضعاً شريف النفس لــم يــروِ شيئاً من الحديث[١٣] ، شاعراً فصيحاً ، فاضلاً أديباً ، له ديوان شعر منه القصيدة المــشهورة التي أولها[١٤] :

إن كان خبّرك الخيال الطارق سهري ووجدي فهو برٌّ صادق

قال الشعر الجيد ، وحدّث ببغداد بشيء من شعره[١٥] ، ولما رحل إلى بغداد ضمن وفــد البصرة لتهنئة الخليفة الناصر لدين الله بالخلافة ألقى قصيدته المشهورة التي جذبت الناصــر إليه ، فكانت عاملاً مشجعاً على استقراره ببغداد، وقد قال فيها[١٦] :

ولّيت وعام الناس احمر ماحل فجدت وجاد الغيث وانقشع المحلُ

فما أن حطّ هذا الرجل رحاله ببغداد حتى قصده طلاب الأدب وأهل الحديث ، ورواة الشعر والأخبار والأنساب ، فهو في تلك العلوم علمٌ من الأعلام وإمامٌ من الأئمة ، فهو فيلسوف الأدب والأخبار[١٧] ، أجاز لسبط ابن الجوزي رواية شعره[١٨] ، وروى عنه السيد فخار بن معد الموسوي في كتابه ((إيمان أبي طالب)) ، وكان من أقرب تلاميذه إليه وأكثرهم تردداً إلى مجلسه عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبي الحديد الشافعي صاحب كتاب ((شرح نهج البلاغة)) ، فقد قرأ عليه كتاب جمهرة أنساب العرب لأبن الكلبي ، وكتب المغازي والتواريخ والشعر والأدب ، وجرت بينهما مناقشات كثيرة ، ولما رأى النقيب في ابن أبي الحديد موضعاً للثقة ومعدناً للوفاء ((أفضى إليه بأحاديث كانت ضرورية للثقافة الإسلامية وللتاريخ ، وكان من براعة شارح نهج البلاغة أن سجّل تلك الأحاديث بألفاظها تارة وبمعانيها تارة أخرى))[١٩] ، فهي أحاديث فيها أسرار من التاريخ الإسلامي عجيبة تقوم على التعليل والتحليل والاستنتاج[٢٠] .

وكان نقيب الأشراف الطالبيين في حلب محمد بن الفضل بن يحيى العلوي (ت ٦١٥ هـ) أديباً فاضلاً ، جميل السيرة حسن الشارة ، فصيح العبارة ، مليح الخط ، له شعره ، وقد روي لابن الفوطي عنه ، ورأى بخطه منه إذ يقول[٢١] :

استودع الله أحباباً لنا سلفوا أفناهم حادثات الدهر والأبد

غدوا هم كل يوم من بقيتنا ولا يؤوب إلينا منهم أحد

كما كان نقيب الطالبيين بحلب الحسن بن زهرة الإسحاقي الحسيني العلوي (ت٦٢٠هـ) ((يكتب خطاً حسناً وعنده فضل وأدب ، وتفنن في علوم شتى ، وله معرفة بالقراءات والفقه والحديث والتواريخ وأخبار الناس ، وعنده من العربية واللغة طرف حَسَن ، وله شعر حسن ورسائل ، وكان جميل الصورة ديّناً ، حلو الحديث لبق الرئاسة))[٢٢] ، سمع بحلب من نقيب مصر محمد بن اسعد الجوّاني النسابة وآخرين[٢٣] ، وقد كان ابن العديم كثير الحضور عنده ، إلا انه لم يكتب عنه شيئاً[٢٤] ، وكان عارفاً بالقراءات والأخبار والعربية والفقه[٢٥] .

أما نقيب أشراف دمشق محمود بن محمد بن إبراهيم الحسيني العلوي (ت ٦٢٨ هـ) فقد سمع الحديث من جماعة[٢٦] ، وكان نقيب النقباء العباسيين مجد الدين هبة الله بن عبد الله بن احمد ، ابن المنصوري العباسي الهاشمي (ت ٦٣٥ هـ) وصف بأنه العدل الخطيب ، أجاز له الشيخ عبد القادر الجيلي وابن البطي ، وسمع في كبره من جماعة ، كتب عنه عمر بن الحاجب ، ومنح إجازته لعدد من المتأخرين[٢٧] ، أما نقيب الطالبيين بمصر الحسن بن علي بن حيدرة الحسيني العلوي (ت ٦٣٩ هـ) فقد كان من بيت الجلالة والرواية ، سمع من

محدثيها ، واجاز له أبو عبد الله محمد بن الأرتاجي ، وحدّث[٢٨] ، وكذلك كان نقيب الطالبيين بحلب الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة الإسحاقي الحسيني (ت٦٤٠هـ) أديباً فاضلاً ، يعرف فقه الإمامية والقراءة وغير ذلك[٢٩] .

وفي سنة ٦٤٥هـ توفى نقيب النقباء الطالبيين ببغداد الحسين بن الحسن بن علي ، قطب الدين بن الإقساسي ، وقد كان قد اشتغل بالأدب ، وقال الشعر وكان فصيحاً ، شيخاً جميلاً لطيفاً حسن الشعر خليعاً[٣٠] ، رافق الخليفتين المستنصر بالله والمستعصم بالله ، وله معهما حسن رفقة وشعر[٣١] ، وكانت له مكتبة قيّمة بالكوفة خازنها من الأدباء العلماء ، وهو الفصيح أبو الحسن علي بن أبي الغنائم العامري[٣٢] ، في حين كان نقيب الطالبيين بحلب الشريف المرتضي عز الدين احمد بن محمد بن جعفر الحسيني العلوي الإسحاقي (ت ٦٥٣ هـ) ، سمع من النسابة محمد بن اسعد الجواني والافتخار الهاشمي وأبي محمد بن علوان ، واجاز له يحيى الثقفي ، وحدّث بدمشق وحلب ، وكان صدراً رئيساً وافر الحرمة شاعراً[٣٣].

ويوصف علي بن الحسن بن زهرة الإسحاقي الحسيني نقيب الأشراف بحلب (ت٦٥٦هـ) بأنه كانت له معرفة بالحديث والقراءات والعربية والفقه والتواريخ ، له نظم جيد ، وترسل حسن سمع غير واحد من الشيوخ وحدّث[٣٤] ، ووصف نقيب النقباء الطالبيين شمس الدين علي بن المختار الحسيني العلوي الذي قُتِل على يد جند هولاكو سنة ٦٥٦هـ ، بأنه شابٌ طريٌ ذكيٌ سريٌ ينظم شعراً جيداً[٣٥] ، وصنّف نقيب الطالبيين بالحلة مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس الحسني (ت٦٥٦هـ) ((كتاب البشارة)) ليقدمه إلى السفاح هولاكو هدية حينما خرج إليه مع وفد من أكابر الحلة وفقهائها سائلين إياه حقن دماءهم ــ ولانعلم أي بشارة يقصد ــ فسلمت الحلة والكوفة والمشهدين (النجف وكربلاء) من القتل والنهب ، وردت إليه النقابة بالحلة والبلاد الفراتية[٣٦] .

وعُرِف عن نقيب الموصل العلوي كمال الدين حيدرة بن عبيد الله الحسيني (ت٦٦٣هـ) علاقته الحسنة ببدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (٦٠٦ــ٦٦٠هـ) حتى استماله الأخير فمدحه وانخرط في زمرة شعرائه[٣٧] ، وقد كان موفر الأوقات على تلاوة القرآن المجيد والاشتغال بالعلم[٣٨] ، فكان إماماً علاّمة ، وبحراً فهامة ، له طريقته العالية في الإسناد والروايات ، صنّف مصنفات منها كتاب ((الغرر في صفات سيد البشر)) وغير ذلك[٣٩] ، وكان نقيب الطالبيين بدمشق أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي الجن الحسيني (ت٦٦٠هـ) قد سمع حضوراً وله من العمر أربع سنوات[٤٠] ، وسمع من طائفة من محدثيها ، وحدّث بدمشق ومصر[٤١] ، وسمع وحدّث بالقاهرة نقيب الطالبيين بمصر علي بن الحسين بن محمد بن الحسين الأرموي الحسيني المصري المتوفي سنة ٦٦٤هـ[٤٢] .

وفي سنة ٦٧٣هـ توفي جمال الدين احمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الموصوف بأنه أول من تولى النقابة على الطالبيين بسوراء (قرب الحلة) ، صاحب التصانيف الكثيرة التي بلغ تعدادها الثمانين ومنها[٤٣] :

- كتاب البشرى في الفقه (٦مجلدات)
- الملاذ (٤ مجلدات)
- كتاب بناء المقالة العلوية في نقض الرسالة العثمانية للجاحظ

وكان نقيب الطالبيين بالموصل عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد العلوي الموصلي (ت٦٧٤هـ) شاعراً ، قرأ له ابن الفوطي بخطه[٤٤] :

لا تصحبنّ من الورى من لا يزينك في الصحاب
فالثوب ينفض صبغه فيما يليه من الثياب

أما نقيب مشهد باب التبن (مقابر قريش) غياث الدين ابوالمظفرعبد الكريم بن احمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (ت٦٩٣هـ) فقد كان فقيهاً علاّمة ، حافظاً لكتاب الله ، يقول ابن الفوطي[٤٥] : ((لم أرَ في مشايخي احفظ منه للسير والآثار والأحاديث والأخبار والحكايات والأشعار ، جمع وصنّف وشجّر وألّف ، وكان يشارك الناس في علومهم ، وكانت داره مجمع الأئمة والأشراف ، وكان الأكابر والولاة والكتاب يستضيئون بأنواره ورأيه ، وكتبتُ لخزانته كتاب : الدر النظيم في ذكر من تسمى بعبد الكريم)) ، نحوي عروضي له مصنفات منها[٤٦] :

أ ـ الشمل المنظوم في مصنفي العلوم

ب ـ كتاب فرحة الغري بصرخة الغري

وكان نقيب أشراف الديار المصرية احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الحسيني العلوي (ت٦٩٥هـ) قد سمع من طائفة كبيرة من العلماء ، وأجاز له خلق كثير ، وطلب الحديث ، وكان ذا فهم وحفظ وإتقان ، خرّج التخاريج المفيدة ، وله كتاب ((الوفيات)) وهو تذييله على كتاب شيخه المنذري صاحب التكملة ذيّل بها إلى سنة ٦٧٤هـ أو إلى وفاته سنة ٦٩٥هـ[٤٧] ، وكان ذا فضل وأدب ، مؤرخاً حافظاً وُصِفَ بأنه[٤٨] : ((ممن جمع بين التالد والطارف ، وتفرّد من فنون هذا الشأن بمعارف وردت بحره وحاضرته في عنفوان الشبيبة غير مرة ٠٠٠ولم يزل للمذاكرة بالعلم متصيّداً وللثقة والأمانة متحريّاً)) ٠

ومن نقباء الأشراف بمصر المتبحرين بالعلوم تقي الدين عبد الله بن عبد الوالي بن جبارة الحنبلي (ت٦٩٩هـ) الذي كان ((إماماً نقيباً ، مدرساً عارفاً بمذهبه ، متبحراً في الفرائض والجبر والمقابلة))[٤٩] .

وكان نقيب الطالبيين زمن الاحتلال المغولي (النقابة الطاهرية) عز الدين أبو الحسين زيد بن علي بن زيد الحسني العلوي (ت٦٩٩هـ) محباً للكتب والدواوين ، له أخلاق حسنة ، حضر بخزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية ، وقد كان ابن الفوطي حاضراً آنذاك ، وصنّف له شيخ ابن الفوطي فخر الدين علي بن محمد الأعرج الحسيني كتاب ((جوهر القلادة في نسب بني قتادة)) ومدحه مع الكتاب قائلاً[٥٠] :

وزادهم شرفاً زيداً بعارفةٍ تنهل من كفّه كالعارض الهتن

الباسم الثغر والأبطال عابسةً عار من العار رحب الصد والطعن

وممن أدرك القرن الثامن وتوفى في سنينه الأولى أو عاش فيه من النقباء العلماء ، عميد الدين أبو الحارث عبد المطلب بن شمس الدين علي بن الحسن بن المختار الحسيني العلوي (ت٧٠٧هـ) نقيب النقباء بالعراق ، الذي كان أديباً فصيح البيان مليح الخط ، له مشاركة في جميع العلوم والآداب ، صنّف له جمال الدين بن المهنا العبيدلي (ت٦٥٧هـ) كتاب ((الدوحة المطلبية)) ، كان يتردد إلى دار ابن الفوطي كلما وفِد بغداد ليطالع ما جمعه وصنّفه والّفه ووضعه[٥١] ، وصنّف له الشيخ محمد بن علي الجرجاني كتاب ((غاية البادي في شرح المبادي)) في الأصول[٥٢] .

وفي سنة ٧٠٩هـ توفي نقيب الطالبيين بالعراق محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي ، السيد الجليل ، حرّ الفكر ، المؤرخ السديد الرأي[٥٣] ، البحّاث الناقد[٥٤] العالم الذي صنّف لحاكم الموصل فخر الدولة أبو محمد عيسى بن هبة الله النصراني الموصلي ولأجله كتاب ((الفخري)) في التاريخ[٥٥] ، وألّف كتاب (الغايات)[٥٦] إذ يرى الحسيني انه هو كتاب غاية الإختصار في النسب[٥٧] ، وكذلك ألّف كتاب ((منية الفضلاء في تاريخ الوزراء))[٥٨] ، وقد توجه هذا النقيب إلى شيراز وصنّف لخزانة كتب حاكم شيراز وبلاد فارس عز الدين عبد العزيز بن جمال الدين الطيبي الكوفي كتاباً في التاريخ[٥٩] ، ربما هو منية الفضلاء نفسه .

ومن مؤلفاته أيضاً كتاب الأصيلي في قواعد علم الأنساب[٦٠] ، وفضلاً عن ذلك فقد كان هذا النقيب محدثاً حدّث عن جماعة منهم النقيب الفقيه العلامة النسابة غياث الدين أبو المظفر عبد الكريم بن طاووس[٦١] .

أما نقيب مشهد الحسين بكربلاء (الحائر) عز الدين الحسن بن أبي الحسن علي بن أبي طالب بن علي بن ترجم الحسيني العلوي (ت٧١٣هـ) فقد كان كريم الأخلاق لطيف المحاضرة طيب المعاشرة ، مليح الخط ، وهو من الجماعة الذين رُتِّبوا وأُثبتوا في المدرسة التي أنشأها المحذوم خواجة رشيد الدين أبو الفضائل فضل الله بن أبي الخير بالغزانية[٦٢] ، وكان نقيب أشراف مصر وابن نقبائها الحسن بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن

محمد الحسيني (ت٧٤٣هـ) قد اسمعه أبوه من العز الحرّاني مشيخته وسمع من جماعة ، وحدّث هو وأبوه وجده ، وتولوا كلهم نقابة الأشراف بمصر[٦٣] .

وكان نقيب الطالبيين بدمشق علي بن الحسين بن محمد بن عدنان الحسيني العلوي (ت٧٤٧هـ) قد سمع من الفخر بن البخاري وحدّث عنه[٦٤] ، إلا انه لم يكن عارفاً بشيء من العلم[٦٥] ، وفي القاهرة توفي نقيب الطالبيين بمصر علي بن الحسين بن علي بن الحسين الأرموي الحسيني (ت٧٥٧هـ) الذي كان إماماً عالماً فاضلاً ، درّس بالقاهرة في مشهد الحسين ، والفخرية ، وكان معدوداً من الرؤساء والعلماء[٦٦] ، ((تفقه للشافعي ، وقرأ العربية والأصول ، وسمع من جماعة ودرّس بالآقبغاوية والمشهد الحسيني ٠٠٠ مليح الهيئة طلق العبارة فصيح الإشارة كثير المشاركة في العلوم ينشئ الإنشاء الحسن وشرح المعالم في أصول الفقه ٠٠ وكان من أذكياء العالم ، وقال تاج الدين السبكي هو وابن نباته وابن فضل الله أدباء العصر في النثر ، ويفوق هو عليهما في العلوم ، ويفوقان عليه في الشعر))[٦٧] .

وفي سنة ٧٦١هـ توفي نقيب أشراف مصر ابن نقيبها محمد بن الحسن بن احمد بن محمد الحسيني سمع من ابنه الكمال جزء الذهلي وغيره ، وحدّث ، وسمع منه الفضلاء[٦٨] ، وكان نقيب أشراف مصر الحسين بن محمد بن الحسين الموسوي (ت٧٦٢هـ) الذي عرف بمهارته في الإنشاء والنظم والنثر وكان[٦٩] : ((يكتب في شيء وينشئ ما يكتبه وينشد من شعره غير ما يكتبه ولم يكن له نظير في الاقتدار على سرعة النظم والنثر)) ، فَوُصِفَ بأنه كاتبٌ بارعٌ أديبٌ بليغٌ[٧٠] ، له ديوان الخطب سمّاه ((المقام المحبّر في مقام المنبر)) عارض فيه خطب ابن نباته[٧١] ، على أن العسقلاني والشوكاني ينسبان إليه إنشاء المدرسة الشريفية بحارة بهاء الدين بالقاهرة ، وذلك وهم فالذي أنشأها هو ولده النقيب محمد بن الحسين بن محمد الموسوي المعروف بابن أبي الركب الذي توفي بعد والده هذا بسنة[٧٢] ، وللحسين إجازة من ابن دقيق العيد والدمياطي والأبرقوهي وغيرهم وحفظ في صغره التنبيه[٧٣] ، درّس بالمدرسة القراسنقرية بالقاهرة مدة ، وكتب وأنشأ وقال الشعر الفائق ومنه[٧٤] :

تلقَّ الأمور بصبرٍ جميل وصدرٍ رحيب وخلَّ الحرجْ
وسلِّم لربك في حكمه فإما الممات واما الفرجْ

أما نقيب العباسيين ببغداد علي بن محمد بن يحيى بن هبة الله العباسي الحنفي (ت٧٦٧هـ) فقد سمع صحيح مسلم على عبد الكريم بلدجي وأحكام ابن تيميه على الرشيد بن أبي القاسم ، ودرّس وخطب[٧٥] ، أما تاج الدين محمد بن جلال الدين القاسم بن الحسين ، ابن معية الحسني (ت٧٧٦هـ) نقيب الحلة والبلاد الفراتية ، فقد كان عالماً فاضلاً صالحاً فقيهاً متبحراً جامعاً لمحاسن العلم والفضل ، وكان من اعظم المجتهدين ، واسع الرواية كثير المشايخ[٧٦] ، قرأ عليه ابن عنبة صاحب عمدة الطالب اثنتي عشرة سنة قرأ فيها ما أمكنه

حديثاً ونسباً وفقهاً وحساباً وآداباً وتواريخ وشعراً ، له مؤلفات عديدة معظمها في النسب ، أما في الحقول الأخرى فهي[٧٧] :

- أخبار الأمم
- رسالة الابتهاج في الحساب
- منهاج العمال في ضبط الأعمال

فضلاً عن مؤلفات أخرى في الفقه والحساب والعروض والحديث ، وله شعر حسن منه قوله[٧٨] :

ملكت عنان الفضل حتى أطاعني وذللت منه الجامح المتعصبا
وضاربت عن نيل المعالي وحوزها بسيفي أبطال الرجال فما نبا
وأجريت في مضمار كلّ بلاغة جوادي فحاز السبق فيهم وما كبا
ولكن دهري جامح عن مراتبي ونجمي في برج السعادة قد خبا
ومن غالب الأيام فهما يرومه تيقن انّ الدهر يضحى مغلبا

أما نقيب الطالبيين بدمشق إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان الحسيني (ت٧٧٧هـ) فقد سمع وحدّث ، وروى عنه أبو حامد بن ظهيرة في معجمه بالإجازة[٧٩] ، فيما كان عز الدين احمد بن احمد الإسحاقي الحسيني نقيب أشراف حلب الذي أدرك القرن التاسع الهجري وتوفي سنة ٨٠٣هـ قد سمع من جده لأمه وجماعة آخرين ، وأجاز له بمصر جماعة ، وآخرون من دمشق وغيرها[٨٠] ، كانت له يدٌ في العربية ، ونظم جيد ، ونثر رائق ، وحُسن محاضرة في أيام الناس والتاريخ وحلاوة الحديث[٨١] ، تردد إليه القضاة ومن دونهم ، وحدّث بالإجازة ، وأجاز له ابن حجر وغيره[٨٢] ، ومن شعره[٨٣] :

يا رسول الله كن لي شافعاً في يوم عرضي
فألوا الأرحام نصّاً بعضهم أولى ببعضِ

الخاتمة

من خلال ما تقدم اتضحت لنا جملة نتائج مهمة لعل في مقدمتها :

- كان أكثر من تولى مسؤولية النقابة سواء نقيب النقباء أم نقباء المدن على درجة عالية من الثقافة والعلم ، ذوي ملكات ثقافية وعلمية .
- وعلى ذلك فقد أضحى للنقابة أثرها في دعم الحركة الفكرية ورعايتها وتطويرها.
- تمتع النقباء ببراعة وتمكن من العلوم المختلفة ، الفقه والتشريع والنسب ، والاجتهاد بالنسبة إلى نقيب النقباء ، هذا فضلاً عن براعتهم بالشعر والبلاغة والنثر .
- أضحى النقيب محط أنظار أهله ، وكانت له المجالس التي تعقد فيها جلسات القضاء فضلاً عن مجلس المناظرات ومجلس الإملاء .
- إن مشاركة النقباء في علوم مختلفة ساهم في إيجاد نقطة ارتكاز علمية وثقافية وادبية واجتماعية كانت كلها تدور حول النقابة ونقيبها .
- أظهرت أقسام الدراسة هذه إن من النقباء من كانت له عدة مؤلفات في مجالات مختلفة زخرت بذكرها كتب التراجم والرجال .
- ومنهم من كان محدثاً معروفاً تُشَدُّ إليه الرحال ويتبعه طلاب العلم وتُعقد له مجالس الإملاء والعلم والقراءات .
- ومنهم من أضحى من أعيان مذهبه وأُخذ عنه العلم ، وروي عنه فكان مُسند بلده في الحديث .
- ومن النقباء من تمكن في العلوم العقلية والنقلية حتى وُصِفَ أحدهم أنه ((كثير الفضائل والعلوم ، له قدم ثابت في كل علم ، حفظ وتصرف وله معرفة جيدة في النسب)) .
- وصفت لنا المصادر نقيباً آخر فتقول : ((يكتب خطاً حسناً وعنده فضل وادب، وتفنن في علوم شتى ، وله معرفة بالقراءات والفقه والحديث والتواريخ وأخبار الناس ، وعنده من العربية واللغة طرف حسن ورسائل وكان جميل الصورة ديِّناً حلو الحديث لبق الرئاسة)) .
- وكان آخر ((إماماً نقيباً مدرساً عارفاً بمذهبه ، متبحراً في الفرائض والجبر والمقابلة)) فيما تردد إلى نقيب آخر القضاة ومن دونهم ، وحدّث بالإجازة .

وختاماً أملي أن أكون قد وُفِقتُ في رسم هذه اللوحة لتكون نواة لدراسة اعمّ واشمل وموسوعة علمية لنقباء العترة النبوية الشريفة .. والله الموفق .

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

(١) القسم الأول مقبول للنشر في مجلة كلية التربية / الجامعة المستنصرية بعنوان (ثقافة نقباء الأشراف في القرنين الرابع والخامس الهجريين)
أما القسم الثاني فقد نشرته مجلة (دراسات في التاريخ والآثار) السنة /٢٢، العدد/١٧، الفصل الثالث ، ٢٠٠٥، ص ص٩٦ــ ١١١ بعنوان (ثقافة نقباء الأشراف في القرن السادس الهجري)

(٢) ابن الساعي ، علي بن انجب ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون اليسير،تحق مصطفى جواد بغداد ١٩٣٤م ، ج٩ ، ص ١٦٦، ولم نجد ما يحسم في أي الربيعين توفي٠

(٣) المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي ، التكملة لوفيات النقلة ، ط١ ، تحق د٠ بشار عواد معروف ، النجف ١٩٧١، ج٣ ، ص ٣٣٣ــ٣٣٤؛ الذهبي ، محمد بن احمد ، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الدبيثي تحق د٠ مصطفى جواد ، بغداد ١٩٧٧، ج٣ ، ص ١٦١

(٤) الحموي ، ياقوت ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ط١ ، تصحيح د٠ س مرجليوث ، القاهرة ١٩٢٥، ج٦ ، ص٢٠٣

(٥) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط١ ، تحق د٠ عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ١٩٩٨م ، مجلد ٤٣ ، ص٢٦٦

(٦) الحموي ، إرشاد الأريب ، ج٦ ، ص ٢٠٣ ؛ انظر كذلك : المنذري ، التكملة ، ج٣ ، ص٣٣٤؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،مجلد ٤٣ ، ص ٢٦٥

(٧) المنذري ، التكملة، ج٣ ، ص٣٣٤؛ الذهبي ، المختصر المحتاج إليه ، ج٣ ، ص١٦١

(٨) انظر : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحق د٠ مصطفى جواد ، دمشق ١٩٦٢، ج٤ق١ ،ص ص ٢٥٧ ،٢٦٨، ٢٦٩ ،٣٥٣، ج٤ق٢، ص٧٩٠

(٩) الأسنوي ،عبد الرحيم بن الحسن ، طبقات الشافعية، ط١ ، تحق عبد الله الجبوري ، بغداد ١٩٧٠ ، ج٢ ، ص ص ٤٤٩ــ٤٥٠ ، وهو يذكر أربعة أبيات منه

(١٠) العميدي ، محمد بن احمد بن عميد الدين ، بحر الأنساب أو المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف ، تحق حسين محمد الرفاعي ، القاهرة ١٣٥٦هـ ، ص١٣١

(١١) الذهبي ، المختصر المحتاج إليه ، ج١، ص ص ١٢٨ــ١٢٩؛ انظر كذلك المنذري ، التكملة، ج٤ ، ص ص ١٥٤ــ١٥٥

(١٢) سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزاوغلي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ط١ ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٢، ق٢ ج٨ ، ص٥٨١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، مجلد ٤٤، ص١٧٧

(١٣) الكتبي ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٤ ، ج٤ ، ص٢٩٧؛ انظر كذلك المنذري ، التكملة، ج٤ ، ص٢٤٢

(١٤) الحسيني ، محمد بن حمزة ، غاية الإختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ، تحق محمد صادق بحر العلوم ، النجف ١٩٦٣، ص٥٦ ، إذ يذكر شعر آخر له فضلاً عن قوله : ((وروى عنه عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أشياء كثيرة))

(١٥) المنذري ، التكملة، ج٤ ، ص٢٤٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، مجلد ٤٤، ص١٧٧

(١٦) جواد ، مصطفى ، أبو جعفر النقيب ، ط٢ ، بغداد ١٩٥٠ ، ص٢٤

(١٧) المصدر نفسه ، ص٣٥، وقد سمع منه جماعة منهم صدقة بن الحسين بن احمد الذي ترجم له ابن الدبيثي ، انظر: الذهبي ، المختصر المحتاج إليه ، ج٢ ، ص١٠٨

(١٨) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ق٢ ج٨ ، ص٥٨١، كما روى عنه شرف الدين بن أبي الفتوح المفسر الرازي ، الحسيني ، عبد الرزاق كمونه ، موارد الإتحاف في نقباء الأشراف ، النجف ١٩٦٨، ج١ ، ص٣٥

(١٩) جواد ، أبو جعفر النقيب ، ص٣٦ ، ومن يطالع نهج البلاغة يجد إن شارحه كثير الإشارة إلى النقيب أبي جعفر

(٢٠) الذهبي ، المختصر المحتاج إليه ، ج٣ ، ص٢٤٩ هامش المحقق

(٢١) ابن الفوطي ، تلخيص ، ج٤ق١ ، ص٣٣١ــ٣٣٢ ؛ الحسيني ، موارد الإتحاف ، ج١ ، ص١٥٩ .

(٢٢) ابن العديم ، عمر بن احمد بن أبي جرادة ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ط١ ، تحق د٠ سهيل زكار ، دمشق ١٩٨٨م ، ج٥ ، ص ٢٣٤٩ ؛ ابن الصابوني ، محمد بن علي المحمودي ، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب ، تحق د٠ مصطفى جواد ، بغداد ١٩٥٧، ص ص ١٨٥ ــ١٨٦ .

(٢٣) ابن الصابوني ، تكملة إكمال الإكمال ، ص ص ١٨٦ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ، ج٥ ، ص ٢٣٤٩

(٢٤) ابن العديم ، بغية الطلب ، ج٥ ، ص ٢٣٤٩، ويورد في ص٢٣٤٩ــ٢٣٥٠ مقتطفات من شعره

(٢٥) الحنبلي ، عبد الحي بن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط٢، بيروت ١٩٧٩ ، ج٥ ، ص٨٧ ؛ الطباخ ، محمد راغب ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، تعليق محمد كمال ، ط٢ ، ١٩٨٩ ، ج٤ ، ص٣٢٣

(٢٦) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، مجلد ٤٥، ص٣٣٠

(٢٧) المصدر نفسه ، مجلد ٤٦ ، ص٢٧٤

(٢٨) ابن الصابوني ، تكملة إكمال الإكمال ، ص ص ١٩٢ــ١٩٣

(٢٩) العسقلاني ، ابن حجر ، لسان الميزان ط٢ ، بيروت ١٩٧١، ج٢ ، ص٢٠٨

(٣٠) الغساني ، الملك الأشرف ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحق شاكر محمود عبد المنعم ، بغداد ١٩٧٥، ص ص ٥٥٥ ــ ٥٥٦

(٣١) المصدر نفسه ، ص ص ٤٢١ــ ٤٢٢ ،٥٤٣؛ المجهول ، كتاب الحوادث وهو المسمى وهماً بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، تحق وضبط د٠بشار عواد معروف ود٠ عماد عبد السلام رؤوف ، ط١ ، بيروت ١٩٩٧ ، ص٢٤٣ــ ٢٤٤، ٢٥٣ــ٢٥٤

(٣٢) ابن الفوطي ، تلخيص ، ج٤ق٣ ، ص٤٧٣

(٣٣) الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٤١٠ وهو يورد بيتان من شعره

(٣٤) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحق د٠ محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٩٢ ، ج١ ، ص ص ١٩٦ــ١٩٧

(٣٥) الغساني ، العسجد المسبوك ، ص٦٣٨

(٣٦) ابن عنبة ، احمد بن علي ، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ، ط١ الأردن ١٩٩٥، ص١٦٩ ؛ الحلي ، يوسف كركوش ، تاريخ الحلة ط١ ، النجف ١٩٦٥، ج١ ، ص ٩٠ ؛ الحسيني ، موارد الإتحاف ، ج١ ، ص١٩١

(٣٧) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية مراجعة وتصحيح محمد عوض إبراهيم بك وعلي الجارم بك ، ط١، القاهرة ، بلا ، ص٦٥ ؛ الرويشدي ، سوادي عبد محمد ، إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ، ط١ ، بغداد ١٩٧١ ، ص ٢٢٦

(٣٨) الحسيني ، غاية الاختصار ، ص١٤٩

(٣٩) ركن الدين ، أبو محمد الحسن ، بحر الأنساب ، أكمله السيد حازم المفتي ، مخطوط ، ص ٥٧

(٤٠) الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ، العبر في خبر من غبر، ط١ ، تحق فؤاد سيد وزميله ، بيروت ١٩٨٥ ،ج٣ ،ص٢٩٩ ؛ ابن الصابوني ، تكملة إكمال الإكمال ، ص٣٢ هامش المحقق

(٤١) (٤٠) اليونيني ، موسى بن محمد بن احمد ، ذيل مرآة الزمان ط١ ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٤ ، ج٢ ، ص١٧٧

(٤٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٥ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج١ ، ص٤٣١

(٤٣) القمي ، الشيخ عباس ، الكنى والألقاب ، ط٣ ، النجف ١٩٧٠، ج١ ص ص ٣٤٠ــ٣٤١ ، وقد نُشِر الكتاب الثالث في عمان عام ١٩٨٥ تحت عنوان ((بناء المقالة الفاطمية في الرسالة العثمانية)) حققه وقدم له وعلق عليه د٠ إبراهيم السامرائي

(٤٤) تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ ق٢ ، ص٦٩١

(٤٥) تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ ق٢ ، ص ص ١١٩٤ــ١١٩٥

(٤٦) انظر الترجمة التي كتبها له القمي ، الكنى والألقاب ، ج١ ، ص ص ٣٤١ــ٣٤٢، وانظر ترجمته كذلك في : الحسيني ، موارد ، ج٢ ، ص ص ١٦٦ــ١٦٧

(٤٧) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات ، نشر باعتناء مجموعة من المستشرقين، طهران ١٩٩١ ، ج٨ ، ص ٤٤ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحق جماعة من المحققين ، القاهرة ١٩٨٤، ج٢ ، ص ص ١١٩ــ١٢٠

(٤٨) الهاشمي المكي ، أبو الفضل محمد بن محمد ، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، ضمن كتاب ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، بيروت ، بلا ، ص ص ٨٩ ــ ٩٠ــ٩١

(٤٩) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٧ ، ص ٩٧

(٥٠) ابن الفوطي ، تلخيص ، ج٤ق١ ، ص ص ١٥٤ــ١٥٥

(٥١) المصدر نفسه ، ج٤ ق٢ ، ص٩٢٤؛ ركن الدين ، بحر الأنساب ، مخطوط ، ص٦٦

(٥٢) الحسيني ، موارد الإتحاف ، ج١ ، ص ص ١٠٦ــ١٠٧

(٥٣) ابن الفوطي ، تلخيص ، ج٤ق١ ، ص ٢٠٦ هامش المحقق

(٥٤) الزركلي ، الأعلام ، ط٢، ج٧ ، ١٧٤

(٥٥) ابن الفوطي ، تلخيص ، ج٤ق٣ ، ص ٢٧٧ وهو المسمى الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية

(٥٦) المصدر نفسه ، ج٤ ق٢ ، ص٩٢٤

(٥٧) موارد الإتحاف ، ج١ ، ص ١٩٤

(٥٨) ابن الفوطي ، تلخيص ، ج٤ق١ ، ص ٢٠٦ هامش المحقق

(٥٩) ابن الفوطي ، تلخيص ، ج٤ق١ ، ص ص ٢٠٥ــ ٢٠٦ ويقول المحقق: يظهر من هذا أن لإبن طباطبا هذا عدة كتب في التاريخ

(٦٠) الحسيني ، موارد الإتحاف ، ج١ ، ص١٩٤ ، وتم جمع المخطوطة وترتيبها وتحقيقها وطبعها لأول مرة من قبل السيد مهدي الرجائي مبسوطاً العام ١٤١٨هـ بقم /ايران

(٦١) الحسيني ، موارد الإتحاف ، ج١ ، ص ص١٩٤ــ ١٩٥

(٦٢) ابن الفوطي ، تلخيص ، ج ٤ ق١ ، ص ص ٨٠ــ٨١ والغزانية ظاهرها أنها منسوبة إلى غازان بن آرغون بن آبغا بن هولاكو سلطان التتار والبلاد الشرقية الإسلامية ومنها العراق ، وهي تقع يوم ذاك بباب الظفرية من أبواب بغداد المعروفة اليوم بالباب الوسطاني ويريد المحلة المجاورة للباب ٠ ن٠م٠ والصفحة / هامش المحقق .

(٦٣) العسقلاني ، ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ط١، تصحيح الشيخ عبد الوارث محمد علي ، بيروت ١٩٩٧ ، ج٢ ، ص٨

(٦٤) العسقلاني ، لسان الميزان ، ج٤ ، ص ص ٢٢٥ــ٢٢٦؛ انظر كذلك الذهبي ، ذيول العبر ، ج٤ ،ص ١٤٢

(٦٥) العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٣ ،ص٢٨

(٦٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٠ ، ص٣٢٢

(٦٧) العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص٢٥٠

(٦٨) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٤

(٦٩) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٨، إذ يورد بعضاً من أشعاره ؛ ابن العراقي ، احمد بن عبد الرحيم بن الحسين ، الذيل على العبر في خبر من غبر ، ط١ ، تحق صالح مهدي عباس ، بيروت ١٩٨٩، ق١ ، ص٦٩

(٧٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١١، ص١٠، المنهل الصافي ، ج٥ ، ص١٧٠

(٧١) العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص٣٨ ؛ الشوكاني ، محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ط١ القاهرة ١٣٤٨هـ ، ج١ ، ص٢٢٨

(٧٢) انظر : العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٢٦٠؛ المقريزي ، احمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط١ ، تحق محمد عبد القادر عطا ، بيروت ١٩٩٧، ج٤ ،ص٢٦٤

(٧٣) العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص٣٨ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ، ج١ ، ص٢٢٨

(٧٤) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٥ ، ص١٧٠، والمدرسة القراسنقرية وسمت بذلك نسبة إلى صاحبها قرا سنقر المنصوري أحد متقدمي الألوف بمصر (ت٧٢٨هـ) ن٠م والصفحة .

(٧٥) العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص٧٢ .

(٧٦) الحسيني ، موارد الإتحاف ، ج١ ، ص١٨٣ .

(٧٧) ابن عنبة ، عمدة الطالب ، ص ص١٥٠ــ١٥١ ، وعن جهوده في علم النسب تنظر أطروحتنا للدكتوراه : نقابة الأشراف ، الفصل الرابع ، المبحث الخاص بالنسب .

(٧٨) المصدر نفسه ، ص١٥٠ وهي من خمسة أبيات .

(٧٩) العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج١ ،ص٣٠ .

(٨٠) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٧ ،ص ٢٣ ؛ الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج٥، ص ١٢٨

(٨١) الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج٥ ص ١٢٨

(٨٢) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٧ ،ص ٢٣

(٨٣) الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج٥ ص ١٢٨